[181] أهل الشام يطوفون بها الناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الآكام والبيوت، حتى خرجوا فيهم وفي خيلهم، فقال مسلم لمروان: أين ما قلت لي بوادي القرى ؟ فخرج مروان حتى جاء بني حارثه، فكلم رجلا منهم، ورغبه في الضيعة، وقال: افتح لنا طريقا، فأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين، ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذل لاهل المدينة من العطاء وتضعيفه، ففتح له طريقا، ورغب فيما بذل له، وتقبل ما تضمن له عن يزيد، فاقتحمت الخيل، فجاء الخبر إلى عبد ا بن حنظلة، فأقبل، وكان من ناحية الطورين، وأقبل عبد ا بن مقطع، وكان من ناحية ذناب، وأقبل ابن أبي ربيعة، فاجتمعوا جميعا بمن معهم، بحيث اقتحم عليهم أهل الشام، فاقتتلوا حتى عاينوا الموت، ثم تفرقوا. غلبة أهل الشام على أهل المدينة قال: وذكروا أن عبد ا بن أبي سفيان قال: وقعت مع قوم عند مسجد بني عبد الاشهل، منهم عبد ا بن زيد صاحب رسول ا صلى ا عليه وسلم وقاتل مسيلمة الكذاب، ومعه عبد ا بن حنظلة، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، وإبراهيم بن فارط، وإبراهيم بن نعيم ابن النجار، فهم يقاتلون ويقولون للناس: أين الفرار ؟ وا لان يقتل الرجل مقبلا خير له من أن يقتل مدبرا. قال: فاقتتلوا ساعة، والنساء والصبيان يصيحون ويبكون على قتلاهم، حتى جاءهم ما لا طاقة لهم به، وجعل مسلم يقول. من جاء برأس رجل فله كذا وكذا، وجعل يغرى قوما لا دين لهم، فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة. قال: وكان على بشر ابن حنظلة يومئذ درعان، فلما هزم القوم طرحهما. ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه، ضربه رجل من أهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه، فوقع ميتا. فلما مات ابن حنظلة صار أهل المدينة كالنعم بلا راع، شرود يقتلهم أهل الشام من كل وجه، فاقبل محمد بن عمرو بن حزم الانصاري، وإن جراحه لتنفث دما، وهو يقاتل ويحمل على الكردوس منهم فيفض جماعتهم، وكان فارسا، فحمل عليه أهل الشام حملة واحدة حتى نظموه بالرماح، فمال ميتا. فلما قتل انهزم من بقى من الناس في كل وجه، ودخل القوم المدينة، فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون. قال: وخرج يومئذ عبد ا بن زيد بن عاصم صاحب رسول ا صلى ا عليه وسلم، والخيل تسرع في كل وجه قتلا ونهبا: فقيل له: لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك، _____